الأهمية الحضارية والاقتصادية
للمدرجات الزراعية في منطقة يـافـع

دراسة سوسيو انثروبولوجية

أعـداد:

أ. د. فضل عبدالله الربيعي

مارس 2019م

اصدار: مركز دراسات الرأي العام والبحوث الاجتماعية(مدار): اليمن -عدن
EMAIL: F.MADAR99 @ HOTMAIL.COM

المحتـويـــــات

- **المقدمــة**

❖ المبحث الأول: الاجـــراءات المنهجـــية للدراسة

- **أولا : مشكلة الدراسة**
- **ثانيا : أهمية الدراسة**
- **ثالثا: أهـداف الدراسـة**
- **رابعا: منهج الدراسة**

❖ المبحث الثاني: لمحة عامة عن مجتمع الدراسة

- **أولا : الموقـع**
- **ثانيا : المساحة**
- **ثالثا : الحدود والسكان**
- **رابعا : التسميـة :**

المبحث الثالث: قيـام المـدرجـات الزراعيـة

- **أولا. لمحة عن الزراعـــة في يـافع**
- **ثانيا: دوافع بناء وتشييد المدرجات الزراعية**
- **ثالثا: عوامل قيام المدرجات الزراعية**
- **رابعا: نظام الري التقليدي**

- **خامسا: خصائص المدرجات الزراعية في يافع**
- **1. العوامل الطبيعية الاجتماعية**
- **2. العوامـل البشريـة**

❖ المبحث الرابع: أسباب وعوامل تدهور المدرجات الزراعية

- **أولا: الأمطار الفجائية الغزيرة**
- **ثانيا: أتلاف النبات الطبيعي**
- **ثالثا: نشاطات بشرية متنوعة**
- **رابعا: الهجرة من يافع**

❖ المبحث الخامس : الاستخلاصات العامة والمقترحات

- **أولا : الاستخلاصات العامة**
- **ثانيا : المقترحات**

المقدمــة :

تمثل المدرجات الزراعية أهمية حضارية واقتصادية واجتماعية معا، في المجتمع اليمني بعامة، ومجتمع الدراسة بخاصة، فهي دالة على قدرة الإنسان في تسخير البيئة الطبيعية لخدمته واستقراره.

لقد كان بناء المدرجات الزراعية في الماضي، هو الوسيلة الأكثر نجاحاً لحماية التربة وتجميع مياه الأمطار واستقرار السكان، في المناطق الجبلية التي عُرفت بشحة سقوط الأمطار وقلت توفر مصادر المياه فيها.

إذ لعبت المدرجات الزراعية دوراً مهماً في عملية التكيف مع ظروف المتغيرات البيئية والاجتماعية. ومثلت إحدى ركائز الاقتصاد الزراعي، الذي أعتمد على ابتكار طرق وأساليب تخزين المياه والبذور والمؤن الغذائية، فضلاً عن اعتماد آليات الري التقليدية، التي تعمل على تسهل عملية نفاذ الفائض من الماء إلى التربة، لاسيما في مواسم الامطار وتقلل من سرعة جريان المياه في الوديان وسفوح الأرض، والاحتفاظ بالتربة، والحد من انجرافها بسبب جريان مياه الامطار من ناحية؛ ومن ناحية أخرى تساعد على عدم تعرية الأرض واستثمارها لخدمة الإنسان.

وعليه فان دراسة المدرجات الزراعية تشكل أهمية من حيث معرفة الخصائص الطبيعية والاجتماعية التي كوّنت هذه المدرجات، ومعرفة ما قدمته من فوائد في توفير المحاصيل الزراعة والإنتاج الحيواني وانعكاس ذلك على عملية الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، وبناء المستوطنات السكانية وتوفير فرص العمل في المجال الزراعي، وتحقيق الأمن الغذائي والتخفيف من الفقر.

وقد جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء عن موضوع المدرجات الزراعية في إقليم المرتفعات الجبلية بمنطقة يافع بوصفها نموذجا لإقليم المرتفعات اليمنية بعامة، وذلك من خلال معرفة خصائص تشييدها وأهميتها في الحفاظ على الاستيطان البشري على منحدرات الجبال الريفية. وقد كشفت الدراسة ما تعرضت له هذه المدرجات من إهمال وعدم الاهتمام في صيانتها والحفاظ عليها من الاندثار، وأوضحت أهمية الخصائص الطبيعية لتربة المدرجات الزراعية في منحدرات الجبال والوديان.

MADAR CENTER

المبحث الأول
الاجـــــراءات المنهجـــية للدراسة

أولا : مشكلة الدراسة :

تُعد مشكلة الدراسة الخطوة الرئيسية الأولى التي ترتكز عليها الدراسة العلمية فالإلمام بالمشكلة ووضوحها تمكن الباحث من السير في انجاز بحثه بكل يُسر.

وتتمحور مشكلة الدراسة الحالية في معرفة الحالة التي توصلت إليها اوضاع المدرجات الزراعية من اهمال وغياب الاهتمام في ترميمها، والحفاظ على نظم الري التقليدية، وهو الأمر الذي أدى إلى اندثار المدرجات الزراعية في السنوات الأخيرة بصورة سريعة. إذ يكاد ينعدم أي اهتمام يذكر بالمدرجات الزراعية في الوقت الراهن، وعدم إدراك أهميتها في حياة المجتمعات الريفية ونمطية الحياة فيها. فضلا عن عدم التفكير في البحث عن فرص جديده لاستثمارها والاستفادة منها لاحقا.

ثانيا : أهمـــية الـدراســـة:

لم تحض المدرجات الزراعية على منحدرات الجبال في إقليم المرتفعات اليمنية بعامة، ومنطقة يافع بخاصة بالاهتمام والدراسة، رغم ما تمثله من أهمية حضارية واقتصادية وثقافية في المجتمع، حيث يلحظ تراجع النشاط الزراعي بصورة ملموسة في الوقت الراهن، بسبب عدم القدرة على الحفاظ على طبيعة المدرجات الزراعية ونظم ريها

التقليدي، وعدم صيانتها، والتوسع العمراني والمدني الذي يتم على حساب المساحات الزراعية.

وعليه فان دراسة المدرجات الزراعية تشكل أهمية من حيث معرفة الخصائص الطبيعية والاجتماعية التي كوّنت هذه المدرجات، وما قدمته من فوائد في توفير المحاصيل الزراعة التي ساعدت على الاستقرار الاجتماعي، والكشف عن الأسباب الرئيسية التي أدت إلى عدم الاهتمام في صيانة المدرجات والحفاظ عليها من الاندثار، وابراز الخصائص الطبيعية لتربة المدرجات الزراعية على منحدرات الجبال والوديان، والتي كانت من اهم العوامل التي ساعدت في الاستيطان البشري على منحدرات الجبال في هذه المنطقة.

كما تتجلى أهمية الدراسة ايضاً في أنها تسعى إلى المساهمة للوصول إلى الاستنتاجات والمقترحات التي من شانها ان تساعد الباحثين والمهتمين بالتراث التاريخي والسياحي في المناطق الريفية من ناجية، وافادة الجهات المعنية على تقويم جوانب إعادة الاهتمام بالإنتاج الزراعي ونظم الري التقليدي ودورهما في عملية التنمية الريفية.

ثانيا: أهداف الدراسة:

تتمحور هذه الدراسة حول الهدف العام المتمثل في تسليط الضوء على المدرجات الزراعية في إقليم المرتفعات الجبلية ولاسيما في منطقة الدراسة –التي كان لها دورا واضحا في مجريات التحولات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية في البلد–وذلك من خلال الإجابة على الأهداف الفرعية الأتية:

1-الكشف عن عوامل إقامة المدرجات الزراعية وأهميتها في استقرارا لسكان في المناطق الجبلية.

2 -الكشف عن الأسباب التي أدت إلى تراجع النشاط الزراعي، واندثار المدرجات الزراعية.

3- إطلاع السلطات والمنظمات والهيئات ذات العلاقة بحالة هذه المدرجات وأهميتها في حياة السكان بهدف إعادة احيائها من خلال قيام مشاريع للتنمية الريفية في هذه المناطق ذات الكثافة السكاني.

رابعا: منهج الدراسة:

اتبع الباحث عدد من المناهج العلمية في معالجة مشكلة الدراسة، حيث استفاد من المنهج الوصفي التحليلي، بوصفه من أكثر المناهج العلمية التي تتمثل فيه معالم الطريقة العلمية بصورة واضحة، اذ يبدأ بملاحظة الوقائع وتحليل المعلومات التي يتحصل عليها [1]. كما استفاد من منهج البحث بالمشاركة، من خلال جمع المعلومات حول عوامل إقامة المدرجات الزراعية وأهميتها في استقرارا لسكان في هذه المناطق الجبلية، وأسباب اندثارها، من خلال عملية المشاهدة المباشرة والمشاركة في اللقاءات التي اجرها الباحث مع عدد من الأهالي وأصحاب الخبرة بموضوع الدراسة، والجهات ذات العلاقة. والاستفادة من بعض المراجع والبيانات الرسمية.

1 - د. سيف عبدالقوي، و د. فصل الربيعي، معوقات تنمية القدرات العقلية لدى طلاب التعليم العالي " بين تحديات الواقع وطموح المستقبل" دراسة سوسيو لوجية بالمجتمع اليمني، مجلة كلية الآداب، جامعة عدن، العدد 9، 2012م

المبحث الثاني
لمحة عامة عن مجتمع الدراسة

أولا : الموقع :

تقع منطقة يافع إلى الشمال والشمال الشرقي لمدينة عدن، بين دائرتي عرض" 13" و"14" درجة شمالا، وبين خطي طول " 45" و"46" درجة شرقا [2]. وهي منطقة جبلية، وقد عُرف اسم يافع كقبيلة ومنطقة بنفس الوقت، وتشير المراجع التاريخية إلى قدم تواجد الانسان اليافعي على هذه الأرض، حيث ذكرت بعض المصادر بان يافع كانت أبرز القبائل العربية التي كوّنت ما عرف بالدولة الحميرية والتي ظهرت قبل الإسلام (115 – 525 ق.م). واستمر الانسان اليافعي يمارس حياته بصورة مستقرة عبر التاريخ في هذه المنطقة مكرسا كل جهوده وطاقاته للتكيف مع تلك الطبيعية الجبلية القاسية، وخلقت منه انسان شديد القوة، الأمر الذي مكنه من تسخير تلك الطبيعية ليجعلها في خدمته ووفرت له ظروفا أكثر امنا واستقرارا ولاسيما في جانب تشييده للمدرجات الزراعية وبناء السدود، والحواجز المائية، والقصور السكنية المحصنة التي تميزت فيها المنطقة.

2 - د. فضل عبدالله الربيعي، أنماط التغير الاجتماعي في الريف اليمني " دراسة حالة قرية آل بن صلاح في يافع، مجلة كلية التربية / عدن، العدد الثاني، 2002م

ثانيا : المساحة :

تبلغ مساحة منطقة يافع الحالية [3]، حوالي 500، 3كم [4]. وتتوزع منطقة يافع حاليا بين محافظتي لحج وأبين، وتظم ثمان مديريات هي: يهر، لعبوس، المفلحي، الحد، (في محافظة لحج). ومديريات : خنفر، رصد، سباح ، سرار (في محافظة أبين).

ثالثا : الحدود والسكان :

يحد منطقة يافع من الشمال محافظة البيضاء، ومن الغرب منطقة الضالع، ومن الشرق منطقة لودر، ومن الجنوب بحر العرب وساحل غدن ابين. وتقع أجزاء كبيرة من مساحة يافع في إقليم المرتفعات الجبلية، متناثرة في السهول والوديان، ومعظم أراضيها ذات سطح جبلي تحدد موقعة وسماته الجبلية [5]، وترتفع السلسة الجبلية (والمعروفة بسرو حمير) إلى ما يقارب (6500) قدم عن سطح البحر [6].

تبعد منطقة يافع عن صنعاء بحوالي 160كم في خط مستقيم وتقع على بعد 30كم شمال مدينة عدن [7]. ويبلغ عدد السكان فيها حوالي 450الف نسمة.

---

3 - هذه المساحة لمنطقة يافع الحالية التي تشمع 8 مديرات في محافظتي ابين ولحج. علما بان يافع كانت قديما تمتد لتشمل مناطق كثير في إطار ما يعرف اليوم بمحافظة لحج وابين والضالع، وصولا إلى عدن وهي مساحة بكل تأكيد أكثر من المساخة الحالية.

4 - نادر سعيد حلبوب، الموسوعة اليافعية، المجلد الأول، الجزء الأول، ط 1، دار الوفاق، اليمن، عدن، 2015م ،ص 39.

5 . حسن بن علي الويس ، اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة، 1962م، ص13.

6 . اف. ال. بلايفيز، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، تاريخ العربية السعيدة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 1999م، ص47.

7 . مندعي ديان، وسالم عبدربه، جبهة الاصلاح اليافعية " نظرة في النظام القبلي" دار عبادي للنشر، ط1، صنعاء، اليمن، 1992م، ص16.

رابعا : التسمية :

تعود تسمية يافع إلى لفظ (اليافع) وهو من شارف الاحترام من الغلمان وهو دون المراهق، وقد ذكر اسم يافع في كثير من كتب التاريخ القديم فهي اسم لإحدى قبائل اليمن وبلدة في الشمال الشرقي من عدن [8]، وعرفها الهمداني بأنها (سرو حمير) والسرو (في اللهجة العربية الجنوبية القديمة) تعني الهضبة، أما جواد علي في كتابة (تاريخ العرب قبل الإسلام) قال: بأنها نجد حمير وأشار إلى أنها المناطق التي يمر بها وادي بنا الذي يعتبر وادياً رئيسياً تتجمع فيه المياه من مرتفعات اليمن الوسطي ويشق مجراه في مناطق لحج أبين الجبلية والساحلية [9].

8 . معجم اسماء العرب، مطبوعات جامعة السلطان قابوس، المجلد الثاني، عمان، 1889م، ص402.

9 . محمد ناصر العولقي، ابين حقائق وأرقام، مطبوعات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2000م، ص99.

المبحث الثالث
قيـــام المـدرجـات الزراعيـــة

تمهـيد:

يعود تاريخ بناء المدرجات الزراعية إلى الأزمنة الغابرة، فبعد انتقال مهنة الإنسان من الصيد إلى مهنة الزراعة، وهي مرحلة لاحقة من تطور الإنسان الذي بدا حياته الأولى في الترحال والتنقل " مرحلة البداوة" جاءت بعدها مرحلة الزراعة كمرحة استقرار للإنسان في المجتمعات التقليدية الريفية، واتجه الإنسان إلى بناء المستوطنات الريفية، واستصلاح الأرضي للزراعة وتسخيرها لخدمته. حيث كانت بداية تشييد المدرجات الزراعية التي ظهرت في بعض البلدان الافريقية، ومناطق الجزيرة العربية واليمن والصين.

وقد اهتم الإنسان في مجتمع الدراسة – مند القدم – بمعالجة البيئة الطبيعية محاولاً تسخيرها لخدمته، ومساعدته في توفير أجواء تساعده على التكيف والاستقرار في الحياة خصوصا في البيئات الريفية والجبلية التي لا توجد فيها مصادر مياه وافره كالأنهار مثلا. وتشير المصادر التاريخية إلى أن اليمنيين كانوا من أوائل من اهتموا بالزراعة، حيث أقاموا السدود والحواجز المائية لحجز مياه الإمطار والاستفادة منها في ري المحاصيل الزراعة، وشيدوا المدرجات الزراعية في سفوح الجبال والوديان. لحفظ التربة.

واقاموا في بناء وهندسة قنوات تصريف مياه الإمطار والسدود والحواجز المائية، وبناء المساجد. على الأراضي الزراعية بصورة دقيقة وعادله.

والمتابع لمجتمع الدراسة سوف يلاحظ ما ذكر أعلاه بوضوح، فالإنسان اليافعي كان على جانب كبير من المهارة والخبرة التي تراكمت لديه خلال سنوات طوليه سوأ كان في مجال الزراعة كبناء المدرجات الزراعية السدود والحواجز المائية، وبناء دور العبادة. وتشييد القلاع والحصون لحمايته من الكوارث وقساوة الطبيعية وعوامل التعرية، كل ذلك ساعده على الاستقرار في هذه الأرض واعمارها، وهناك كثيراً من الاثار والشواهد التاريخية التي تدل على ما قام به هذا الانسان والتي ما زالت إلى يومنا هذا شاهدة على إنجازاته تلك، ولعل ابرزها ما يعرف بالفن الهندسي العماري الذي تمتاز به منطقة يافع خير دليل على ذلك، فضلاً عن تلك الاثار والنقوش الموجود في مساجد يافع. وقد جاءت هذه الاعمال التي قام ويقوم بها أهالي المنطقة في ضوء القيم السائدة في مجتمعهم المحلي، ومتفقة مع حاجات هذا المجتمع واسس تنظم موارده.

صورة للمدرجات في أعالي الجبال

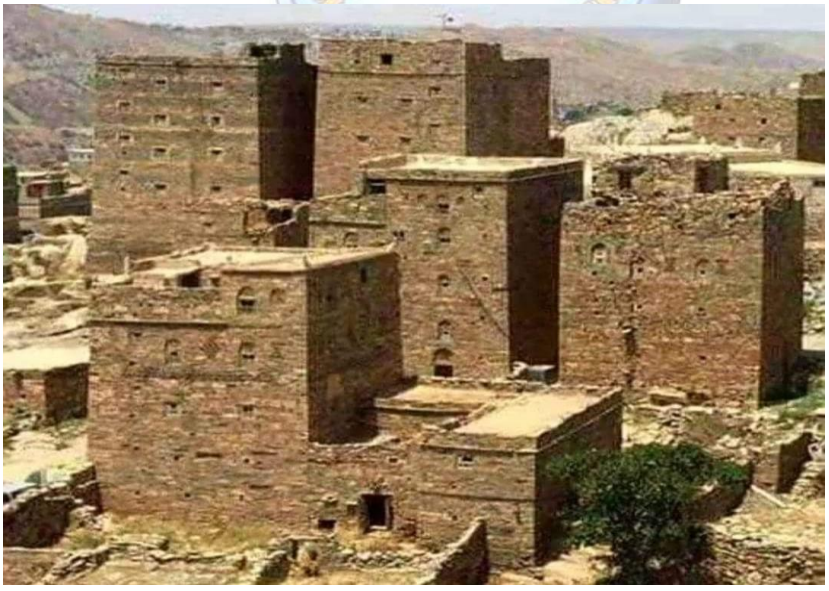

صورة: لمنازل قديمة

صوره: للمدرجات في الهضاب

أولا: لمحة عن الزراعـــة في يــافع:

يتصف الريفيون عادتا في تماثلهم في أعمالهم وانتاجهم وثقافتهم، وقد كان لطبيعة العزلة الاجتماعية والجغرافية التي عاشوها في الماضي دور أساسي في جعلهم يلبون حاجاتهم الاجتماعية والاقتصادية المتشابه، اذ كان العمل الزراعي وما يتعلق به يمثل القيمة العليا لديهم والذي استمروا عليه الاف السنين، قبل تطورات المجتمعات الحديثة، وقد ظلت الزراعة في منطقة يافع الى سبعينات القرن الماضي تشكل المصدر الرئيسي الأول للإنسان اليافعي ويعتمدون عليها أهالي يافع جميعا في حياتهم ومعيشتهم، وهذا يفسر لنا ذلك الاهتمام التي حظيت به الزراعة والمتمثل في بناء المدرجات وسدود حصاد الامطار الموسمية، إذ اشتهرت منطقة

يافع بزراعة البن " القهوة" بوصفه اهم المحاصيل النقدية الذي يتم تصديره إلى خارج اليمن. الا ان دخول زراعة القات اربعينيات القرن الماضي كانت قد اثرت سلبا على زراعة البن، والتي جاءت على حساب الأراضي التي يزرع فيها شجرة البن.

وبرغم شدة ووعورة المنطقة التي تشغل الجبال معظم مساحتها، وصغر المساحة الزراعية فيها التي لا تتجاوز 13% تقريبا من اجمالي المساحة، نجد الإنسان اليافعي وبإرادته القوية كان قد استطاع في هذا المكان إن يستغل ويستثمر هذه البيئة الطبيعية لخدمة مصالحة واستقراره في المنطقة، من خلال جهوده المضنية التي تعبر عن مدى عشقه الكبير للعمل في بناء وتشييد المدرجات الزراعية، فتواجده الدائم في الأرض رغم محدوديتها جعله يهتم كثيرا في تسخيرها لمصلحته سواء في بناء المدرجات الزراعية او السدود او بناء المساكن التي تعتمد على معاملة المصادر الطبيعية في استخراج الأحجار ومواد البناء من تلك الأرض وصخورها عبر جهود شاقة. إذ شكلت يد الإنسان والحجارة معا احدى العوامل الرئيسية التي اعتمد عليها بناء المدرجات الزراعية.

لقد عرفت هذه المدرجات تسميات محلية عديدة مثل" الحقف، والصلب، والجربة، العُبر [10]، وغيرها من التسميات والتي شيدت على منحدرات الجبال وبطونها وسفوحها للحفاظ على التربة من الانجراف وخزن مياه الأمطار والاستفادة منها في النشاط الزراعي.

10 . الحقف /جمع حقفه ، والأصلاب جمع صلب، للدلالة على صلابة الأرض، وهم مفردات تستخدم لتسمية المدرجات الزراعية الصغيرة المشيدة على ظهر الوديان والجبال. والجر به هي أكبر من الحقفه والصلب مساحةً، وجمعها جرب وهي الأرض المسطحة في قاع الوديان والهضاب وتسمى بلغة أهل أبين ولحج مطيرة. اما العبر فهو القناة لتمرير المياه وبنفس الوقت يستفاد منه كمساحة للزراعة.

بيد إن هذه المدرجات في بطون الأودية تعد أكبر مساحة من تلك المدرجات الواقعة على منحدرات الجبال إذ تشكل حوالي (88,6%)، من إجمالي المساحة المزروعة في المنطقة. وهذه المدرجات تبنى وترص بالحجارة بطريقة محكمة ومتداخلة تظهر واجهتها الأمامية بصورة متناسقة [11].

ثانيا : دوافع بناء وتشييد المدرجات الزراعية:

كان الانسان اليافعي قد شيد هذه المدرجات تحت دوافع الحاجة إلى توفير الغذاء، وظلت الاسرة في هذا المكان وحدة اجتماعية تعتمد على اكتفائها الغذائي إلى وقت قريب، حيث وصل اهتمام الانسان هنا إلى استغلال معظم الأماكن التي ممكن إن تقام فيها المدرجات في أعالي الجبال الشاهقة رغم صلابة صخورها ووعورتها وندرة التربة فيها.

ويعود عمق التفكير في بناء المدرجات الزراعية إلى فكرة ان يجعلوا منها تحقيق فائدتين في آن واحدن فهي حواجز مائية لحفظ المياه من ناحية، ومن ناحية أخرى كونها أيضا حواجز لحفظ التربية وايجاد أراضي زراعية للاستفادة منها في ممارسة نشاطهم الزراعي.

كان يتم بناء هذه المدرجات بشكل حواجز للمياه والتربة وتشييدها كجدران حجرية قبل سقوط الامطار، وتوجيه الامطار إليها عند سقوطها، وتجرف إليها التربة بواسطة مياه الامطار، لتبقى التربة تتجمع في هذه الحواجز حتى تتراكم لتشكل مساحات صالحة للزراعة.

11 . يطلق على الجزء المحاذي للجدران في المدرج الواجهة الأمامية " الودن" أما الجز الأخر في الداخل والمسند الى ظهر الجبل فيطلق عليه " الدور".

لقد ظلت هذه المدرجات الزراعية بما تحويه من تربة خصبة صالحة للزراعة كمورد طبيعي مهم للإنسان في المنطقة، واعتمد عليه اعتماداً كلياً لسنوات طويله، حتى منتصف القرن الماضي، أي مع تلك التحولات التي شهدها المجتمع مع قيام الثورة وظهور الدولة الجنوبية المستقلة الحديثة منذ منتصف سبعينات القرن الماضي، التي مكنت الإنسان اليافعي من الانفتاح والهجرة على العالم الخارجي. خصوصا مع تضاءل الانتاج الزراعي ومحدوديته بحكم الجفاف الذي ظرب المنطقة، بصورة كاملة واستمر لعدة سنوات. فضلا عن تتضاءل تلك الموارد ولاسيما مع الارتفاع الكبير والمتزايد للسكان في المنطقة وعدم ظهور الافتراضات الاقتصادية البدائية التي يعتمد عليها الانسان، كل ذلك أدى إلى العزوف عن النشاط الزراعي والهجرة إلى خارج المنطقة.

ثالثا: عوامل قيام المدرجات الزراعية

تحدثنا سلفاً عن أهمية قيام تلك المدرجات الزراعية في حياة المجتمع في هذه المنطقة، وللوصول إلى فهم أعمق عن تلك الأهمية، كان لازما علينا الدقة والتقيد في استخدام مناهج الدراسة المشار اليها في المبحث الأول، وهو البحث عن اهم العوامل التي ساعد ت على قيام المدرجات الزراعية، التي تجمع بين العوامل الطبيعية والعوامل الاجتماعية معاً.

1. العوامل الطبيعية الاجتماعية:

تمثل العوامل الطبيعية احدى العوامل التي أدت إلى قيام المدرجات الزراعية، ويظهر اثر تلك العوامل بوضوح في قيام هذه المدرجات، حيت إن مظاهر السطح في هذه المنطقة كالوعورة ولانحدارات الشديدة، كانت دافعاً رئساَ للتفكير في إنشاء المدرجات الزراعية للحفاظ على التربة الخصبة للزراعة، إذ ان تركها دون حواجز سوف يعرضها للانجراف التام بسبب شدة الانحدار التي تتصف به المنطقة، هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى خصوبة التربة في هذه المنطقة وتتميز بانها طميه طينية رملية، فالطفال الرملي فيها 2,8- 7,8 bh / 1,7- ec0,5[12]، وتُعد تربة صالحة للزراعة المتنوعة، فضلاً عن الغطاء ألنباتي الذي يغطي سطح المنطقة هو الأخر كان قد ساعد في الحفاظ على التربة وخصوبتها الوافرة.

ويتكون هذا الغطا النباتي من أشجار _ شجيرات_ اعشاب، حشائش" وهو غني بالأصول الوراثية النباتية البرية، حيث يتواجد في المنطقة أنواع كثيرة من النباتات المختلفة.

بيد أن وجود الصخور الصلبة وتوفر الحجارة كانت أيضا من العوامل الطبيعية التي ساعدت وسهلت من عملية بناء وتشيد المدرجات وحفظ التربة وتماسكها، لان الطبيعة الجغرافية هنا لا تساعد على قيام المدرجات إلاّ ان تبنى بمادة الحجارة، خلافا للأراضي الزراعية الموجود في المناطق الفسيحة والمسطحة. أن تنوع المناخ الذي تتصف به المنطقة بحكم انها اتساعها وتوزعها بين الوديان والهضاب والشعاب هو

12 . معلومات حصل عليها البا حث من مكتب الزراعة والري في محافظة لحج، اليمن، عام 2013م.

الاخر قد ساعد على تنوع انتاج المحاصيل الزراعية، مما دفع بالإنسان قديما نحو الاهتمام في بناء المدرجات الزراعية.

2. العوامل البشرية:

لم تكن العوامل الطبيعية وحدها التي ساعدت على قيام المدرجات الزراعية قديما في يافع، فكثير من المناطق والمواقع الجغرافية في بقاع الأرض تتوافر فيها المقومات الطبيعية لممارسة النشاط الزراعي إلاّ انها تظل مواقع مهملة دون تنشيط. لذا نرى أن العامل الرئيسي هنا يتمثل في نشاط الإنسان وقدرته على تسخير الطبيعة لمصلحته.

حيث نجد إن العوامل الاجتماعية والاقتصادية تُعد محور النشاط الإنساني في معالجة العوامل الطبيعية والاستفادة منها في تلبية حاجاته الضرورية، إذ كان لعزيمة وقدرة الانسان واصراره على العمل من أجل العيش المستقر في هذه المنطقة اهم عوامل انشاء تلك المدرجات الزراعية والحواجز المائية.

ولقد مثل النشاط الزراعي القائم على مساحات تلك المدرجات المصدر الأساس للسكان في الماضي، بحكم انعدام فرص الأنشطة الاقتصادية الأخرى.

كما أن الحصار الذي فرضته ظروف الوضع القبلي في الماضي والسياسة الاستعمارية التي مرت بها البلد بعامة قبل قيام ثورة الرابع عشر من أكتوبر عام 1963م، قد دفع بأعداد كبيرة من سكان المنطقة بالتوجه للعمل في النشاط الزراعي من خلال الاهتمام في صيانة وتجديد المدرجات والاعتماد حد الكفاف على المحاصيل الزراعية المختلفة

كالحبوب "بمختلف أنواعها" بدرجة رئيسة وبعض أنوع الخضار والفواكه والأعلاف ، وتربية الماشية وهو الأمر الذي ساعد على استمرار وتراكم المهارات المهنية والمعرفية لدى السكان المحليين في الزراعة والإلمام في تواقيتها وتنوع محاصيلها، وتجديد بناء المدرجات الزراعية عقب حوادث السيول والأمطار الغزيرة التي عادتا ما تِعرض هذه المدرجات للأضرار.

صورة تظهر تجهيز المدرجات لاستقبال موسم سقوط الامطار

يذكر ان خصائص البناء الاجتماعي ونظام الملكية الذي ساعد المنطقة كان داعما رئيسيا ومحفزا في استمرار العمل في الزراعة عبر الاهتمام بالمدرجات الزراعية، كانت الوحدة المجتمعية من اهم الروابط القوية بين أبناء المنطقة، ولم تكن الملكية محصورة بيد فئات أو أُسر محددة بذاتها، بل كان الجميع يملكون أرض وبنسب مختلفة، فهذا الطابع العام قد ساعد على اختفى التمايز الطبقي الذي نشاهد في

مناطق عديدة في البلد. مما جعل الكل يشعرون بنفس القيمة والشعور تجاه بعضهم، وهو الأمر الذي دفع بالجميع نحو الاهتمام بالأرض، وهذا الاهتمام نابع من طبيعة التقاليد الاجتماعية الذي ترى ان ملكية الأرض والمنزل تمثل جزء مهم من شخصية الفرد والأسرة، ومن ثم فان أي أرض مهملة وغير مستصلحة ينظر لصاحبها بنوع من التقليل من مكانته الاجتماعية[13].

13 - ظل الأهالي في يافع يتفاخرون في اهتمامهم بالأراضي الزراعية، عبر اصلاح المدرجات وتجديدها المستمر مما يجعلها نظيفة من كل الشوائب، حتى مع قلت مردودها، لانهم يرون في ذلك العمل قيمة ترفع شان صاحب الأرض والاسرة ، لذا نجدهم لم يتركون الأرض مهملة، حتى الأسر الذي لا يوجد فيها معيلين من الرجال تضطر الاستعانة بالأخرين للعمل معها بالأرض مقابل الاجر، فالعامل الذي يقوم في حراثة الأرض واصلاحها يسمى "البتول"، وهو عمل رفيع ينظر اليه باحترام عكس المناطق الأخرى كمحافظة حضرموت مثلا الذين ينظرون للعامل في حراثة الأرض نظره دونية، اما اذا كانت الأسرة قد انتقلت للهجرة إلى المدينة أو خارج الوطن، فأنها تلجا ان تضع اراضيها كعهد عن احد الأقارب أو من أبناء القرية تطلب منه متابع الاهتمام بالأرض بحيث لا يتركها مهملة، ويرسلون له النقود ثمن أي عمل يقوم به في الأرض، رغم عدم وجود عائد منها.

صورة تظهر اهتمام المزارع للأرض في بداية طلوع الزرع

أما في الوقت الرهن فقد تراجع النشاط الزراعي الى حد كبير جدا، ولم يغطي إلا نسبه ضئيلة جداً من احتياجات السكان بحكم ما شهدته المنطقة من تحولات اجتماعية واقتصادية، لاسيما مع تزايد مؤشرات الخصوبة والسكان خلال السنوات الماضية. واندفاع أبناء المنطقة نحو الهجرة الخارجية والداخلية بصورة مستمر ومتزايدة منذ سبعينات القرن الماضي، وتبين مؤشرات الهجرة اليافعية التي اتجهت سواء الى المدن الداخلية او الخارج خلال السبعين العام الماضية ما يوازي نسبة السكان في المنطقة.

رابعا: نظام الري التقليدي

اهتم الإنسان بالموارد المائية رغم شحتها حيث أقام القنوات الخاصة بتصريف مياه الأمطار على المدرجات الزراعية الريفية في المنطقة، مراعيا في ذلك حاجة تلك المدرجات ومدى تحملها لكمية المياه بحيث لا تؤدي إلى انهيارها او أتلاف المحصول فيها ، ولهذا فقد اوجد نظم خاصة في الري ، إذ عمل على بناء القنوات التصريفية لتلك المياه التي تتجمع من الأمطار وتوزيعها على الأراضي الزراعية ، تسمى هذه القنوات بالسواقي والاعبار والمشاعب والمسافح، وغيرها من التسميات وتختلف وظائفهما تبعا لاختلاف مواقعهم المكانية وكمية الأمطار، حيث توجد السواقي عادة في منحدرات الجبال وداخل الأراضي الزراعية، أما الاعبار فتوجد في بطون الأودية ، وتتفاوت إبعادهما من حيث مساحة الطول والعمق فالاعبار هي أكبر من السواقي ، وتوجد المشاعب داخل المدرجات ومفترقات تصريف المياه والتي يتم بواسطتها توزيع المياه التي تصل إليها عبر الاعبار والسواقي باتجاهات مختلفة داخل الأراضي الزراعية حيث تتضمن توزيع المياه على جوانب مختلفة من الأراضي فضلا عن وجود ما يسمى بالمسافح في كل مدرج تقريبا والتي تسمح بمرور الماء الفائض عن الحاجة وتصريفه إلى ما دونه .

وقد توارث الأجيال نظام الري هذا الأجيال منذ القدم أبا عن جد، يذكر بان طرق الري تلك في توزيع المياه كانت في منتهى الدقة التي خدمت التوزيع العادل للمياه على الأراضي الزراعية وفقا لحجم مساحتها، ولا سيما تلك الأراضي البعيدة عن تجمعات مصارف المياه

المباشرة [14]. ويُعد هذا النظام المرجعية عند وجود أية خلافات أو منازعات بين الناس حول ذلك.

ولأهمية تنظيم السقي للمزارع، يتم اختار رجالاً من الخبرة لتنظيم توزيع المياه، وفقاً للنسب المقررة وتوزيعها بالعدل والأنصاف بحث لا يتجاوز الشخص حقه من كميه الماء المقررة له وبحسب كمية منسوب المياه في المرة الواحدة، وعادتا ما يرجع الناس إلى هؤلاء الأشخاص بوصفهم محط ثقة للجميع حيث يتولون الاشراف على تقسيم أو توزيع المياه ولاسيما عند نشوب أي شجار او تنازع حول توزيع المياه وتوجيهها إلى الأراضي الزراعية.

ويشمل ذلك النظام المياه التي تتجمع على أسطح المنازل والمباني وحظائر الحيوانات، وكيفية توجهها إلى الأراضي الزراعية المجاورة لها، وفقاً لمنسوب هذه المياه وانحدارها، حتى وان كانت هذه الأراضي لا تتبع مالكي المنازل والمباني، وليس من حقه الاعتراض على ذلك. كما يبيّن نظام الري التقليدي هذا كيفية التصرف في حالات وجود أكثر من منسوب للمياه، إلى أرض معينه، في الوقت الذي قد توجد بجوارها مثلاً ارض ليست لها منسوب للمياه، فانه يتم في هذه الحالة تحويل كمية من المياه ومنسوبها من الأولى إلى الثانية حسب ما تفتضيه الحاجة وتعارف عليه الناس. وقد ساد نظام الري هذا في جميع مناطق يافع المتناثرة في سفوح الجبال والوديان بصوره ثابتة منذ القدم وإلى يومنا هذا، وصار نظاما صارما يلتزم له الكل ومتعارف علية في الأعراف والتقاليد المتوارثة، ان هذا الالتزام يأتي من ادراك المجتمع

14 - يذكر ان هناك توثيق مكتوب حول ذلك التوزيع لمياه الامطار على الأراضي الزراعية، وهذا التوثيق مدون كمحطوطات، فيما يعرف بالسجلات او الفاتيه وهي وثائق ملكيات الأراضي الزراعية التي تمتلكها الاسر والافراد، في مناطق يافع عامة حيث تبين مساقي مياه الامطار واتجاهها إلى الأرضي الزراعية وبحسب منسوبها الطبيعي.

المحلي لأهمية الماء بوصفه روح الزرع والحياة وقد يتسبب في وقوع النزاع والقتال بين الناس بسبب الطمع والاستحواذ على حصص الآخرين، ونستنتج من ان وجود هذا النظام الدقيق للري لم يأتي إلاّ بعد وقوع نزاعات وصراعات سابقة حول ذلك [15].

ولهذا فقد كان الالتزام والتقيد بنظم توزيع الري التقليدية مخففاً إلى حد كبير من وجود الخلافات والنزاعات التي تنشا عادتًا عند تصريف مياه الأمطار، فقد قلل من حالات الاستحواذ والطمع، وتم التقيد في توزيعها بصوره عادلة بحسب حجم الحيازة، وتدرج قربها من مصادر التصريف " الأول بالأول".

تجدر الإشارة هنا إلى إن الأراضي الزراعية تصنف إلى نوعين وفقا لقربها او بعدها من مصادر المياه وهي [16]:

أ. الأراضي المسنا " المروية":

الأراضي المسنا هي تلك الأراضي المعروفة وفقا للمتعارف عليه في المفاهيم الزراعية بالأراضي المروية التي تروى أو تسقى من المياه الجوفية، كمياه الآبار، أو الغيول " الينابيع" وتقع هذه الاراضي بالوديان بالقرب من مجرى ومرسى السيول.

---

15 . هناك بعض الروايات يتداولها الناس في مجتمع يافع، حول كثير من الصرعات والاقتتال الذي جرى في قدم الزمن بين بعض القبائل حول التحكم والتصرف في مياه الامطار، في هذه المنطقة الجبلية الذي يشكل فيها الماء قيمة كبيرة جدا .

16 . للتوضيح أكثر الأراضي المسنا هي الأراضي التي تصلها كميات المياه بصورة اكثر من العتر خلال مواسم الامطار وتتميز بجودة وخصوبة تربتها الوفيرة التي تتجدد باستمرار من خلال ما يصل اليها من طمي بواسطة مياه السيول لقربها من مجرى سيول الامطار ومرساها، ويقال عنها مسنا لأنها تسني من مياه الابار ، فعملية استخراج المياه من قاع الابار تسمى بالسني ، وكانت تتم في الماضي بواسطة الحيوانات التي تجر او تسحب المياه عبر الحبال والدلو الذي فيه يوضع الماه وسخبه من قاع البير وهو مصنوع من جلود الحيوانات ، اما حاليا فان عملية استخراج المياه من الابار تتم بواسطة الكهرباء او مكائن الديزل او النفط.

أما اراضي العتر فهي تلك الأراضي التي تعتمد على سقوط مياه الأمطار اليها بصوره مباشره، وتقع دائما في المرتفعات الجبلية العالية بعيد عن الوديان، ويميز الناس بين هذان النوعان من خلال قيمة الأرض فعادتا يكون ثمن الأراضي البعلية " العتر" اقل بكثير من ثمن الأراضي المروية" المسنا".

ب. الأرضي العتر" البعلية":

أما الأراضي العتر فهي تلك الأراضي التي يطلق عليها في المفاهيم الزراعية بالبعلية، وتعتمد هذه الأرضي على مياه الأمطار الموسمية، وعادتا ما تكون بعيده عن مصادر المياه المباشرة وتقع دائما في المرتفعات الجبلية بعيد عن الوديان.

صورة تبين قنوات تصريف مياه الامطار على المدرجات الزراعية

صوره حاجز مائية

خامسا: خصائص المدرجات الزراعية في يافع:

تتميز المدرجات الزراعية في يافع بجملة من الخصائص عما علية تلك المدرجات المنتشرة في معظم مناطق اليمن، وهي مرتبطة بخصوصية التضاريس في المنطقة. فهي مدرجات حجرية. حيث تتميز المنطقة بمتحدراتها الشديدة والتي تتراوح نسبتها بين (35-75%)، إذ أقام الإنسان المدرجات الحجرية على منحدرات الجبال والخوانق الموجودة في تلك الجبال بمدرجات ذات مساحات ضيقة جداً ويحتوي الفدان الواحد على 300مدرج تقريبا [17]. أي إن مساحة المدرج الواحد تبلغ حوالي 14م2 كحد متوسط. وهذه المدرجات ترص فوق بعضها تصاعدياً بالحجارة تبدو بشكل لوحة جميلة للناظر، وهذا ما يميزها عن باقي مدرجات اليمن التي تتواجد على سفوح هضاب واسعة كما هو الحال في المحافظات الأخرى في اليمن عموما.

وتعتبر المدرجات الحجرية من أقدم المدرجات الزراعية وأكثرها استخداما منذ العصور القديمة، ولا تزال تستخدم في كثير من السفوح الجبلية والوديان، وتتواجد في أكثر من مكان بالعالم مثل المغرب وافريقيا وبعض المناطق في الجزيرة العربية والصين. وهذه المدرجات تنشأ في الأراضي الشديدة الانحدار وتبني جدرانها تدريجيا حسب المنحدر بالأحجار المتوفرة وتملأ الفراغات خلف الجدران بالتربة الزراعية، حيث تتطابق الجدران مع الخطوط الالتفافية ويكون طولها حسب إمكانية المساحة المتوفرة. ويبدأ تشيد المدرجات الزراعية في منطقة يافع بمحاذاة الوديان حتى وصل إلى أعالي الجبال، كما تتميز ايضا عن

17 . المصطلحات الزراعية في اليمن، مجلة الاكليل، العدد الاول، السنة السادسة، 1988م، ص 46.

نظيراتها في بقية المناطق الأخرى بانها تبنى كجدران حجريه تحتضن تربة المدرج وتحميه من التداعي بسبب الانحدار الشديد الذي يصل إلى 75%، [18]، وحمايته من سيول الأمطار الغزيرة.

فطبيعة التضاريس في يافع شديدة الوعورة، ورغم ذلك نجد الانسان اليافعي ظل متشبث بهذه الأرض، مستقرا لسنوات طويلة في هذا الإقليم خلال العصور السابقة محافظا على هذه المدرجات مستمرا في تشييدها، وترميمها عندما تتعرض للجرف بسبب مياه الأمطار، والتي عادة ما تتأثر هذه المدرجات بالأمطار الموسمية، حيث يبلغ المعدل السنوي للأمطار في المنطقة بين 361,9 -629,9 ملم بسبب ذلك الانحدار الشديد.

تسهم هذه المدرجات بعدد من الفوائد البيئية وصيانة التربة وحمايتها من الانجراف والتعرية، فضلا عن حفظ المياه والحد من انسيالها السطحي وزيادة معدل تسربها الداخلي، وفي دعم الاحتياطي المائي للخزانات الأرضية السطحية والجوفية. كما تعمل المدرجات على تحسين خواص التربة الفيزيائية والكيمياوية ورفع خصوبتها، ولاسيما محتواها من المادة العضوية الناتجة من النباتات النامية فيها وبتأثير إحياء التربة، وتسهم في الحفاظ على التنوع الحيوي النباتي والحيواني ودعمه وإثرائه في المنطقة.

18 . تقديرات اخذها الباحث اثنا اعداد نزوله الميداني واستقصى آراء كبار السن من المزارعين في المنطقة.

صوره للحقول الزراعية

صور لشجرة " البن "

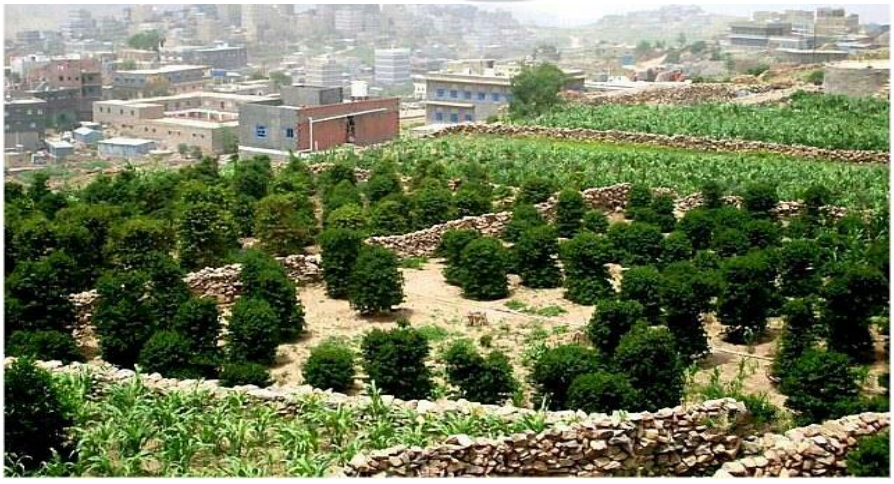

المبحث الرابع
أسباب وعوامل تدهور المدرجات الزراعية

تعرفنا في المبحث السابق عن عوامل قيام المدرجات الزراعية، والتي تتمثل في جملة من العوامل والظروف الموضوعية والذاتية والمترابطة معا، لتكشف لنا أهمية وابعاد قيام هذه المدرجات من النواحي الاقتصادية والثقافية والاجتماعية معا.

وفي هذا المبحث سنتعرف على أبرز الأسباب المباشرة والعوامل المساعدة التي أدت إلى اهمال واندثار المدرجات الزراعية وعدم الاهتمام في صيانتها والتراجع عن إعادة بنائها كحالة عامة في المنطقة، حيث تتداخل جملة من تلك الأسباب والعوامل والتي سوف نستعرض أهمها من خلال المؤشرات الاتية:

أولا: الأمطار الفجائية الغزيرة:

من المعروف إن إمطار هذا الإقليم موسمية تسقط في فصل الصيف والخريف، نتيجة لهبوب الرياح الجنوبية الغربية على اليمن، وهي الأمطار متذبذبة من عام إلى أخر، لذا نجد إن غزارة الأمطار تسقط بشكل فجائي في بعض السنوات مما يؤدي إلى جرف التربة وتدمير المدرجات الزراعية كما احدثته الامطار التي سقطت في الأعوام 1982م، وفي عام 1989م العام 1992م. والذي بلغ معدلها 629,9 ملم بحسب ما تم الإعلان عنه عند تداول الاخبار عن تلك الامطار، وقد اعتبرها الاهالي والجهات الرسمية حينها بانها من اشد الحوادث الطبيعية التي احلت بالمنطقة والتي لم تشهد حوادث تذكر مثلها من قدم الزمن.

فما زالت أثارها إلى يومنا هذا، وقد أدت هذه الحوادث إلى جرف مساحات واسعة من المدرجات الزراعية والتربة والسدود المائية في جميع مناطق يافع، وغيرت من معالم الأرض بصورة واضحة ولقد كان حجم هذه الحوادث كبير جدا الامر الذي لم يكون بمقدور الأهالي عودتها الى وضعها السابق بسبب تكلفت الإصلاح مقابل ضاءلت المردود، مما خلق حالة من الإحباط لدى المزارعين وترك مهنة العمل بالزراعة، إذ اتجهت اعداد كبير من ابنا المنطقة نحو الهجرة.

ويفيد الأهالي هنا انهم لم يحصلون على أي مساعدات تذكر من قبل الجهات المحلية أو الدولية التي ممكن إن تخفف من هذه الحوارث وتحفز الزارعين على أعادة ما دمرته السيول.

ثانيا: أتلاف النبات الطبيعي:

تعرض النبات الطبيعي إلى الضرر المتواصل خلال السنوات السابقة، دون الالتفات لمعالجة تلك الإضرار التي ساعدة على اتلاف النبات الطبيعي، بسبب عدة من العوامل.

إن التوسع في الرعي في بعض المناطق الداخلية من يافع أدى إلى تدمير الغطاء النباتي وأصبح الغطاء النباتي شحيحاً مما أدى إلى تفكك التربة وانجرافها مع مياه الإمطار وتدهور المدرجات الزراعية.

كما ان حالة الانفجار السكاني الذي شهدته المنطقة خلال الاربعة العقود الماضية كان واضحا وملفتا للعيان، حيث تضاعف السكان ثلاث مرات تقريبا خلال هذه المدة، مما دفع بالتوسع المعماري على حساب الأراضي الزراعية والمراعي، والزائر للمنطقة يستطيع مشاهدة ذلك من خلال واقع المباني الحديدة التي امتدت في المساحات

الزراعية، لتتصل القرى ببعضها وأصبحت شبيه بالنمط المعماري في المدينة.

يمكن القول ان تدمير الغطاء النباتي قد أخل بالتوازن البيئي في المنطقة، حيث ساد الجفاف معظم فصول السنة، واندثار شبه كامل لبعض الحيوانات البرية مثل الفهود والضباع والغزلان والوعول وكذلك بعض الطيور، وانحسا انتاج العسل.

ثالثا: النشاطات الخدمية:

من العوامل الرئيسية التي أدت إلى اندثار المدرجات وتدهور الزراعة هو ما يتعلق في بعض من تلك الأنشطة الخدمية المختلفة التي تقام في المنطقة مثل شق الطرقات لاسيما تلك التي تقوم دون دراسات وافيه لها، فضلا عن عملية استخراج الأحجار من باطن الأرض ومن الصخور لاستخدامها في البناء العمراني وما يرافقها من نقل ، ساعدت هي الأخرى إلى تفكك التربة، ومهد لجرفها بواسطة مياه الإمطار والسيول، واحدثت ضرر واسع في تغير في أنظمة الري التقليدي – كما سبقت الإشارة اليها– وخلخلة التربة ومساقيها ، فاستخدام الآلات والمعدات الثقيلة مثل البلوزرات وإعمال التفجيرات في الصخور عند استخراج الأحجار في إعمال البناء العمراني او في شق الطرقات وتسوية الأراضي السكنية والتجارية، كل ذلك قد اثر على تسرب المياه الجوفية من ممراتها في باطن الأرض، وانعكس ذلك في حالة الجفاف الذي ضرب المنطقة خلال السنوات الماضية بصورة متواصلة.

رابعا: الهجرة من يافع:

يرى الكثيرون من المزارعين في المناطق الريفية ان الاحتفاظ بحيازتهم الزراعية في الريف قد أصبح باهض التكاليف نتيجة لارتفاع التكاليف، وان اراضهم قد فقدت خصوبتها بسبب استخدامها المستمر [19]، هذا من ناحية، وبسبب تضاءل ثمن المردود من المحاصيل الزراعية مقابل ثمن المحاصيل المستوردة من ناحية أخرى.

ولم يعد الإنسان في هذه المنطقة كما كان علية في السابق يهتم بالنشاط الزراعي وبناء هذه المدرجات والحفاظ عليها كأسلافه وذلك يرجع لعدد من المؤشرات الاجتماعية والاقتصادية مثل انفتاحه للعمل خارج المنطقة، كما هو الحال في اندفاعه الكبير نحو الهجرة إلى الخارج. وتُعد يافع منطقة طرد سكاني حيث اتجهت إعداد كبيرة من ابنائها للهجرة إلى خارجها.

إذ أصبح العائد من مردود الهجرة يمثل المصدر الرئيسي الذي يعتمد عليه السكاني حاليا. وقد أحدثت هجرة الشباب الواسعة من منطقة يافع الى خارج الوطن، اهم مظاهر التغير الاجتماعي التي تعيشه المنطقة، حيث كانت الهجرة دون شك قد أثرت بصورة مباشرة على النشاط الزراعي الذي أدى الى انخفاض الإنتاج الزراعي، وتدهور المدرجات الزراعية.

وتشير بعض الدراسات والبحوث العلمية التي أقيمت عن الهجرة اليمنية إلى تأثيرات الهجرة اليمنية بعامة على الإنتاج الزراعي في الريف وانهيار الأنظمة الزراعية التقليدية لاسيما وان إعداد كبيرة من

19 . اندرو و يبيستر ، مدخل لسو سوسيولوجية التنمية ، مطبعة بغداد ، العراق ، 1986م، ص 146.

المهاجرين ينتمون إلى أصول فلاحية ريفية كان عملهم المتوارث قبل الهجرة في الزراعة، حيث أدت هجرتهم تلك إلى اهمال الزراعة وانخفاض مساحة الأراضي الزراعية في الريف [20]، وتعتبر منطقة يافع واحدة من أكثر المناطق الريفية التي هاجر أبنائها للعمل في الخارج.

ان وجود فرص عمل في الخارج قد كرس القطيعة مع مصادر تطور الإنتاج الوطني وفي مقدمتها الزراعة [21]. ويستمر ذلك الأثر الذي تتركه الهجرة على الزراعة حتى بعد عودة المهاجرين إلى الوطن فغياب هؤلاء وانقطاعهم عن الأرض لمدة من الزمن فإنهم يجدون صعوبة التكيف إذا ما ارادوا العودة لمهنهم السابقة المتعلقة بالنشاط الزراعي، حيث لا يحبذون العودة إلى مناطق نشأتهم أو مهنهم الأولى [22]. ان دخول التعليم للمنطقة قد ساعد على توجه الشباب نحو التعليم والتفكير في العمل في مهنة أخرى [23].

وعليه نلحظ عدم الاهتمام بالعمل الزراعي وببناء المدرجات الزراعية، اذ وهنت عرى الارتباط بالأرض كما كان علية الإنسان في السابق الذي كان يعطي جل وقته وجهده في العمل في صيانة هذه المدرجات والاهتمام المتزايد بها، الذي يبدأ من المدة التي تسبق هطول الإمطار في مواسم الشتاء حيث يقوم بتهيئة الأرض وحراثها وتفقد مساحتها وإصلاح ما هو بحاجة إلى إصلاح كي لا تؤثر كمية هطول الإمطار على تلك المدرجات كما يقول المثل الشعبي اليافعي:

---

20 . انظر: د. احمد القصير الهجرة اليمنية، مكتبة مدبولي، مصر، 1984م، ص126. ود. فضل الربيعي، إعادة اندماج المهاجرين العائدين الى اليمن، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عدن، 2000م.

21 . د. حمود العودي، المغتربون اليمنيون والتعامل الزراعي، اعمال ندوة المغتربون في اليمن، صنعا، 1999م ص92

22 . د. فضل الربيعي، الهجرة والتغير الاجتماعي، دار عبادي للنشر، ط1، صنعاء، 2010، ص 67.

23 - د. فضل الربيعي، المصدر السابق

(من سبر في الشمس سقى في القمر) وهذا يعني إن المزارع وجب علية الاهتمام في أعداد مساقي المياه وإيصالها للمدرجات الزراعية وإصلاح الأرض قبل هطول الأمطار حتى تستعد لاستقبال الأمطار الغزيرة في الصيف والتي تتلاشى أضرارها نتيجة للجهد المبذول في الصيانة بذلك وبعده يتجه لإعداد الأرض وتمهيدها للبذر.

حيث نجد أيضا من العوامل التي أدت إلى تدهور وتقليص المدرجات الزراعية هو استخدام أجراء من هذه المدرجات كمساحات للقيام ببناء المساكن عليها بحكم قلة المساحات الصالحة للبناء حيث اتجه الإنسان في بناء المساكن في قاع الوديان والهضاب بدلاً من بقائه في قمم الجبال كما كانت علية حكمة القدماء الذين كانوا يحرصون على بقاء هذه الأرض للزراعة حيث إن توفر عامل المواصلات ووصول الطرقات إلى الوديان بسهولة قد دفع الإنسان للانتقال إلى قرب هذه المواصلات فضلات عن تزايد أعداد السكان في المنطقة خلال الثلاث العقود الأخيرة.

صور نموذج للتوسع العمراني الذي يلتهم الأراضي الزراعية

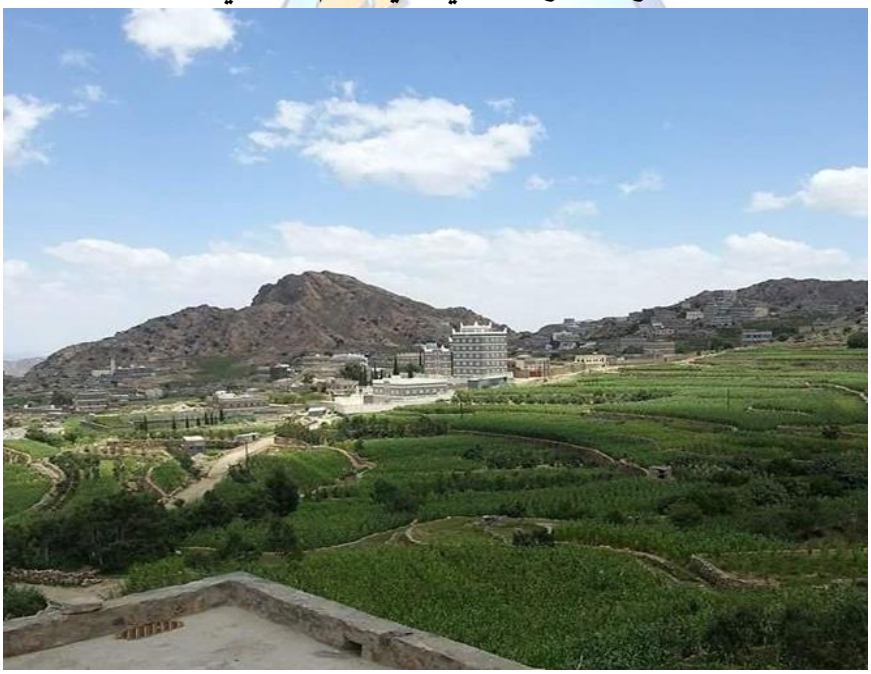

وبذلك أصبحت المدرجات الزراعية لم تغطي حاجيات السكان المتزايدة كما إن توافر المواد المستوردة من الحبوب وسعرها المنخفض بالمقارنة مع كمية الجهد والخسائر المبذولة في العمل الزراعي (المُكلفة) قد أدى إلى إهمال النشاط الزراعي والتراجع عن بناء وإعادة ترميم ما اندثر من المدرجات الزراعية.

صوره من مواسم الجفاف التي ضربت المنطقة

المبحث الخامس
الاستخلاصات العامة والمقترحات

من خلال ما تضمنته الدراسة الراهنة في المباحث السابقة، يمكن لنا ان نضع بعض النتائج التي توصلت اليها الدراسة وعرضها في الاستخلاصات والمقترحات الآتية:

أولا: الاستخلاصات العامة:

ربما الكثير من الفقرات التي احتوتها الدراسة والتي سبق وتم عرضها وتحليلها قد حملت في طياتها بعض الاستنتاجات التحليلية، ولكن سوف نحاول طرح اهم الاستخلاصات في الاتية:

1. **ان الاهتمام في تشييد المدرجات الزراعية، في منطقة يافع في المراحل السابقة، رغم قساوة الطبيعة وشدتها، يعود في الأساس الى طبيعة خصائص البناء الاجتماعي الذي ساد المنطقة، الذي ينظم طبيعة العلاقات الاجتماعية بين السكان، وعدم وجود التمييز بين الناس، إلاّ في الخصائص الطبيعية للتجمع الانساني، إذ لم تظهر هناك الفوارق الطبقية، التي تجعل الملكية محصورة بيد عناصر أو فئات اجتماعية محدودة، كما الحال هو في بعض المناطق والمجتمعات المحلية الأخرى، من هنا كان الكل يملك أراض رغم تفاوت نسبها وهو الأمر الذي جعل الكل يشعرون بقوة الانتماء الواحد، مما دفع الجميع**

بالاهتمام في تشييد المدرجات الزراعية، فالملكية هنا هي جزء من شخصية الانسان اليافعي.

3. **إن اهمال المدرجات الدرجات الزراعية، وإذا ما حدثت الامطار فأنها لم تجد المدرجات الزراعية التي تقوم بامتصاص المياه، فان ذلك قد يؤدي إلى انهيا السدود الطرقات وانجراف ما تبقى من التربة، بل ويهدد بانهيار المدرجات واندثارها كلياً. وهذا الوضع يستدعي اتخاذ التدابير العاجلة لتفادي فقدان النظام البيئي والموروث الزراعي.**
4. **نستنتج من تراجع النشاط الزراعي وغياب صيانة وإعادة بناء المدرجات بانه يؤدي إلى غياب أهم عوامل استقرار السكان في الريف، وهذا ما قصدناه في هذه الدراسة لإبراز أهمية تلك المدرجات في الحياة *الاقتصادية* والاجتماعية والاستقرار السكاني.**
5. **إن الحفاظ على المدرجات الزراعية لا يعني الحفاظ على الزراعة فقط، بل ان الحفاظ عليها يأخذ ابعادا كثيره منها الحفاظ على المورث الحضاري والثقافي ، وخصوصا وقد اشتهرت المنطقة بنمط بنائها المعماري، وتوسعت فيه حركة هذا النشاط ، إذ اصحبت كثيراً من تلك القرى في يافع اليوم شبيهة بالمدن الحديثة من حيث توسعها وانماطها المعمارية والخدمات المتواجدة فيها، لاسيما مع تزايد النشاط التجاري والخدمي وظهور المولات والاسواق التجارية شبيه بتلك الموجود في المدن الكبيرة، وذلك ما يجعل التفكير مستقبلاً بتنشيط السياحة الجبلية والتي سوف تشكل موطن جذب للسواح المحليين**

والأجانب نظرا لما تحوية المنطقة من مناظر ومواقع طبيعية وجبالها النادرة ومناخها المعتدل ونقاوة بيئتها. خصوصا مع ما تشهده المنطقة اليوم من مشاريع تنموية وخدمية.

6. إن عدم الاهتمام من قبل وزارة الزراعة ودوائرها المختلفة بهذه المدرجات، وكذلك غياب مؤسسات البحث عن تناول أهمية هذه المدرجات اقتصادياً سيما إذا ما نظرنا إلى أهم محصول زراعي فيها هو البن " القهوة أي الكوفي" حيث تعد من اهم المناطق التي تزرع البن، وهذا قد انعكس على فقدان الإرشاد وتطوير النشاط الزراعي لهذا المحصول النقدي.

ثانيا: المقترحات:

تحقيقا لأهداف الدراسة سوف نضع امام الجهات ذات العلاقة بعض التوصيات والمقترحات الاتية:

1. ضرورة الاهتمام والعناية بالمدرجات الزراعية من قبل المؤسسات المعنية ممثلة في وزارة الزراعة والمواد الغذائية وتعمل على إنشاء وحدة للإرشاد والتطوير الزراعي في المنطقة بحكم بعدها عن مراكز بحيث تزود بالمكنيات الأزمة لقيام الحواجز المائية والسدود غيرها بكى تمكن المواطن من الاستقرار الاجتماعي والتوجه نحو النشاط الزراعي وتطويره.
2. اطلاع المؤسسات والهيئات الإقليمية والدولية النشطة بظروف وواقع المنطقة والدعوة إلى تبني ودعم مشاريع التنمية الريفية فيها وعلى وجه الخصوص المشاريع الزراعية والحفاظ على المدرجات الزراعية بوصفها احد مظاهر الحضارة الإنسانية التي

تفتخر بها بلادنا فضلاً عن كونها منطقة تحوي على جملة من الآثار التاريخية المختلفة والمناظر الطبيعية الخلابة ذات الطابع الريفي المتميز حيث يمكن إن تشكل منطقة جذب سياحي مستقبلا إذا مأتم في استكمال مشاريع البنى التحتية بالمنطقة كالكهرباء والطرقات والمياه والتي تشهد حالة من الازهار في الوقت الراهن .

3. **يمكن القول ان هذه المدرجات تستوجب العناية والتطوير لتستمر في دعم قدرات السكان والنظم البيئية، خصوصاً لما تعرفه المنطقة اليوم من تغيرات مناخية وما يترتب عنها من عواقب. وقد كان للجفاف وقلة الأمطار أثر سلبي على المدرجات، بحيث انخفض مستوى استغلالها والعناية بها. ويرتبط التخلي عن استغلال هذه المدرجات بالمردودية الاقتصادية المتناقصة لممارسة الزراعة، مقارنة مع بدائل كالهجرة وأنشطة اقتصادية أخرى.**

المصادر والمراجع

1 . د. احمد القصير الهجرة اليمنية ، مكتبة مدبولي، مصر، 1984م.

2. اف. ال. بلايفيز، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، تاريخ العربية السعيدة، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 1999م.

3. اندرو و يبيستر ، مدخل لسو سوسيولوجية التنمية، مطبعة بغداد ، العراق، 1986م.

4. المصطلحات الزراعية في اليمن، مجلة الاكليل، العدد الاول، السنة السادسة، 1988م.

5. د. حمود العودي، المغتربون اليمنيون والتعامل الزراعي، اعمال ندوة المغتربون في اليمن، صنعا، 1999م.

6. حسن بن علي الويس ، اليمن الكبرى، مطبعة النهضة العربية ، القاهرة، 1962م، ص13.

7. د. سيف عبدالقوي، و د. فصل الربيعي، معوقات تنمية القدرات العقلية لدى طلاب التعليم العالي " بين تحديات الواقع وطموح المستقبل" دراسة سوسيو لوجية بالمجتمع اليمني، مجلة كلية الآداب، جامعة عدن، العدد 9، 2012م .

8. د. فضل عبدالله الربيعي، أنماط التغير الاجتماعي في الريف اليمني " دراسة حالة قرية آل بن صلاح في يافع، مجلة كلية التربية / عدن، العدد الثاني، 2002م.

9. ---------- الهجرة والتغير الاجتماعي، دار عبادي للنشر، ط1، صنعاء، 2010م.

10. ---------- إعادة اندماج المهاجرين العائدين الى اليمن، رسالة ماجستير مقدمة الى قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عدن، 2000م.

11. مندعي ديان، وسالم عبدربه، جبهة الاصلاح اليافعية " نظرة في النظام القبلي" دار عبادي للنشر، ط1، صنعاء، اليمن، 1992م.

12 . معجم اسماء العرب، مطبوعات جامعة السلطان قابوس، المجلد الثاني، عمان، 1889م.

13 . محمد ناصر العولقي، ابين حقائق وأرقام، مطبوعات دار جامعة عدن للطباعة والنشر، 2000م.

14. نادر سعيد حلبوب، الموسوعة اليافعية، المجلد الأول، الجزء الأول، ط 1، دار الوفاق، اليمن، عدن2015م.